﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾

[الأعراف: 140]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين التّثبيرِ والبُطلانِ، وبين استِنكارِ موسَى طلبَ عِبادَةِ لغيرِ الرّحمانِ

الآيةُ الكريمةُ شروعٌ في بيانِ شؤونِ اللّهِ تعالى الموجبةِ لتخصيصِ العِبَادَة بهِ تعالى بعد بيانِ أنَّ ما طلبوا عبادتَهُ ممَّا لا يمكن طلبُهُ أصلًا؛ لكونهِ هالكًا باطلًا،(1) فلمَّا أبلَغَهُم موسى عليه السلام أنَّ الأصْنَامَ الَّتي مرُّوا عليها لا تصلُح لأنْ تُعْبَدَ، كان ذلك غيرَ كافٍ لهم لِمَا تقرَّرَ من جهْلِهِم، فربَّما ظنُّوا أنَّ غيرَها ممَّا سوى اللّهِ تجوزُ عبادتُه، فكأنَّ ما قال لا يكفي جوابًا لمثلِ هؤلاءِ، فاستدركَ مُنكِرًا متعجِّبًا من أنْ يتألَّهَ غيرُهُ بقَوْلِه: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾(2)، مذكِّرًا إيَّاهم بانفرادِهِ سبحانه بإنشائِهِم وإبداعِهم(3).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَبۡغِيكُمۡ﴾: (بغي) أصلان: أحدُهما: طلبُ الشَّيءِ، ومنهُ: بغيتُ الشَّيءَ أبغيهِ؛ إذا طلبْتُه، ويقال: بغيتُك الشَّيءَ؛ إذا طلبتُه لك، وأبغيْتُك الشَّيء؛ إذا أعنْتُك على طَلَبِهِ(4)، ومَن قَالَ: أَبْغِني كَذَا وَكَذَا، فمعناهُ أَعِنِّي عَلَى بُغائِهِ، واطلبْهُ معي(5).

وبغيتَ الشَّيء؛ إذا طلبتَ أكثرَ ما يجبُ(6)؛ لأنَّ محورَ معناهُ: تزايدُ الشَّيءِ نموًّا وقوَّةً، أو توصُّلًا لاكتمالِ حالِهِ، ومن التَّزايدِ اتِّجاهًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/268.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 3/105.
(3) القشيري، لطائف الإشارات: 1/562.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم: (بغي).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بغي).
(6) الرّاغب، المفردات: (بغي).

وتهيُّؤًا لاكتمالِ الحالِ جاء معنى الطَّلب؛ لأنَّه ازديادٌ[1]. وبذا فمعنى اللَّفظةِ في الآيةِ الكريمة: أُعينكم عَلَى طلبِ إلهٍ، وأطلبُهُ معكم، وقد فُسِّر بـ: أَسوَى اللهِ ألتمسُكم إلهًا، وأجعلُ لكم معبودًا تعبدونَه[2]؟

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

دَعــوةُ مـوسَى قومَهُ إلى عبادةِ المُنْعِمِ المُتفضِّلِ، لأنّـه لا معبودَ سِواه يُؤمَّلُ

قال موسى ﷺ لقومه: أَسوَى اللهِ المستحقِّ للعبادةِ ألتَمِسُكم إلهًا، وأطلبُ لكم معبودًا تعبدونَه؟ وهو خالقكم، ومختصُّكم بالنِّعَم، والآيات البَاهرة التي لم يُعْطِها أحدًا غيركم، ومفضِّلُكم على عالَمِي دهْرِكم وزمانِكم بما جدَّد فيكم مِنَ التَّوحيد وهداية الدِّين، على ملَّة إبراهيمَ، وسنَّةِ المرسلين إنَّ هذا منكم لجهلٌ![3] فليس الإلهُ شيئًا يُطلبُ، ويُلتمسُ، ويُتَخيَّرُ، بل الإلهُ هو القادرُ على الإنعام والإفضالِ، فهو الذي يستحقُّ أن يُعبدَ، ويُطاعَ لا غيرُهُ[4].

وترشِدُ الآيةُ الكريمةُ إلى التَّنبيهِ على سوءِ معاملةِ مَنْ يقابلُ تخصيصَ اللهِ إيَّاه مِن أمثالِهِ بالفَضْلِ بأنْ يَقْصِدَ أنْ يُشْرِكَ به أخسَّ شيءٍ مِن مخلوقاتِهِ[5]. وذلك مِن أماراتِ الجَهل، وانخرامِ عُرى المروءةِ بكفرانِ فَضلِ المُنْعِم، وجحودِ نِعَمِ الجوادِ، وإنكارِ إحسانِ المُنقِذِ مِنَ الزَّيغِ، والضَّلالِ.

وفيها إظهارٌ لغَضب موسى ﷺ للّه، إذ كيف نسِيَ قومُه نعمةَ اللهِ عليهم، وهي حاضِرةٌ يُعاينونها، وعلى ذلك ينبغي أن تكون غَيْرَةُ العَبْدِ على رَبِّهِ، وخالقِهِ، والمتصرِّفِ بأحواله.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (بغي).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 13/84.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 13/84.
(4) الخازن، لباب التّأويل: 2/243.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/32.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ تَكْرارِ فِعْلِ القَوْلِ، مَع ترْكِ العَطْفِ:

أعادَ لفظَ ﴿قَالَ﴾ مستأنِفًا في حكاية تكْمِلَةِ جواب موسى عليه السلام بقَوْله: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ بعد قَوْلِه: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؛ لما بين المقالتَين مِنَ البَوْنِ والاختلافِ، فالأوَّلُ: راجِعٌ إلى مجرَّدِ الإخبارِ بِبُطلان عبادةِ الأصْنَامِ في ذاتِه، والثَّاني: راجِعٌ إلى الاسْتِدْلال على بُطْلانِه[1]. فتوجيهُ إعادةِ فِعْلِ القَوْلِ، وكونِه مستأنفًا: إنَّه استئنافٌ ابتدائيٌّ للاهتمام بالخبرِ؛ إيذانًا بتغيُّر الخطاب بأنْ يكون بين الخِطابَين تخالفٌ ما[2]. وحدَّدَ في هذه الآيةِ مَنِ المطلوبُ منهُ جَعْلُ الإلهِ لهم، وهو: موسى عليه السلام بقَوْله: ﴿أَبْغِيكُمْ﴾، والمطلوبُ لأجلِه هذا الجَعْل، وهو اللهُ تعالى وهو قَوْله: ﴿إِلَٰهًا﴾ وموسى على الحَقِّ، واللهُ تعالى هو الحَقُّ، وهو الَّذي يحقُّ الحَقَّ، وبين هذين الحَقَّيْن وذَيْنَكَ البَاطِلَيْن غايةُ المباينَةِ، فلذلك كان هذا جوابًا مستقلًّا مباينًا لما قبلَهُ، بحيثُ لا ينبغي أنْ يُعطَفَ عليه عطفًا، ولا أنْ يُعَدَّ معه عَدًّا، ولهذا أعادَ فيه كلمةَ: ﴿قَالَ﴾[3]. والآيةُ الكريمةُ شروعٌ في بيانِ شؤونِ اللهِ تعالى الموجبةِ لتخصيصِ العِبَادَةِ به تعالى بعدَ بيانِ أن ما طلبوا عبادتَهُ مما لا يمكنُ طلبُهُ أصلًا؛ لكونه هالكًا باطلًا، ولذلك وسَّط بينَهما: ﴿قَالَ﴾ مع كونِ كلٍّ منهما كلامَ موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام[4].

ما بَيْن المقالَتَيْن بَونٌ، والغايةُ الاهتمامُ بالخبرِ، إيذانًا بتَغيُّر الخِطابِ

إذا طالَ المقُولُ، أُعيدَ فعْلُ القولِ، في حكايةِ الأقوالِ:

يُعادُ فِعلُ القَوْلِ ﴿قَالَ﴾ في حكاية الأقوالِ إذا طالَ المقُول، أو لأنَّهُ

الانتقالُ مِنَ التَّوبيخِ على سؤالِهم، إلى التَّذْكيرِ بنِعْمةِ اللهِ عليهم

(1) وهذا التوجيه نقله محمد الطاهر بن عاشور عن ابن عرفة التونسي في (إملاءات التفسير) التي كان يلقيها على طلابه، وهو في تفسيره: 2/247، مع اختلاف في النقل. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8ب/69.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8ب/70.

(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/100.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/268.

انتقالٌ مِن غرضِ التَّوبيخِ على سؤالهم إلى غرضِ التَّذكيرِ بنعمةِ اللهِ عليهم، وأنَّ شكرَ النِّعْمَةِ يقتضي زجْرَهُم عن محاولة عبادةِ غيرِ المنعِم، وهو مِنَ الارتقاءِ في الاستدلال على طريقةِ التَّسليمِ الجدلي، أي: لو لم تكن تلك الآلهةُ باطلًا؛ لكان في اشتغالِكم بعبادتِهَا، والإعراضِ عن الإله الذي أنعمَ عليكم كفرانٌ للنِّعمةِ، ونداءٌ على الحماقةِ، وتنزُّهٌ عن أنْ يُشاركَهم في حماقتِهم[1].

نُكتةُ الإيغالِ في التَّنْكِيْرِ والتَّعْرِيْفِ:

نَـفْـيُ الألـوهـيَّـةِ عـن كـلِّ مـا في الوجودِ، إلّا ذاتَ الـلـه الـواجـبَ الوُجودِ

﴿أَغَيْرَ﴾ وصفيَّةٌ للمغايرةِ، وهي مِنَ الأسماءِ الموغلةِ في التَّنْكِيْر، وفي استعمالها قصدٌ إلى استغراقِ جميعِ موجوداتِ الكونِ، وتعريفُها بالعَلَم المتفرِّد في اللَّفظِ والتَّعْرِيْف: ﴿ٱللَّهِ﴾ نفيٌ للألوهيَّةِ عن كلِّ ما في الوجود إلَّا ذاتُه ﷻ فهو الموصوفُ المتفرِّدُ بهذه الصِّفةِ، والتَّعْبِيْرُ باللَّفظ الموغلِ في التَّنْكِيْر في مقامِ الذَّاتِ الإلهيَّة، لا يناسِبُه إلَّا التَّعْرِيْفُ بأبينِ لفظٍ، وأبْلَغِه دلالةً على العَلَميَّةِ على الإطْلاق.

ولفظُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ اسمٌ عَلَمٌ للمعبودِ بحقٍّ، والواجبِ الوجود المستحقِّ للألوهيَّةِ، والتَّوحيد، ولجميعِ المحامدِ بذاتِه، وصفاتِه، وأفعالِه[2]. "فغيرُ اللهِ أعمُّ الألفاظِ الدَّالَّةِ على المحدَثات، فهو يشمَلُ أخسَّ المخلوقاتِ، وأعْجَزها عنِ النَّفع والضُّرِّ كالأصْنَام، ويشمَلُ أفضلَها وأكملَها كالملائكة والنَّبيِّين ﷺ ليثبت أنَّه لا يوجدُ مخلوقٌ يستحقُّ العِبَادَةَ مع اللهِ تعالى وإن علا قدْرُهُ، وعظُمَ أمرُهُ"[3].

غَرَضُ الاسْتِفهامِ في الآيةِ الكريمةِ:

إنكارُ طلَبِهِم أنْ يجعلَ لهم إلهًا غيرَ اللهِ، وهم مـغـمـورُون في نِعَمِهِ وعَطاياه

قَوْلُه: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ استفهامُ إنكارٍ، وتوْبيخٍ[4]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/70.
(2) قباوة، المفصّل، ص: 595.
(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/100.
(4) الواحديّ، التفسير الوسيط: 2/404، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/176 - 177.

وتعجيبٍ من طِلْبَتِهِمْ - مع كونِهم مغمورين في نعمةِ اللّه - عبادَةَ غيرِ اللّهِ[1]، فأنكرَ متعجِّبًا أن يُتأَلَّهَ غيرُه[2]؛ إنَّ هذا أمرٌ شنيعٌ مُستنكَرٌ.

والخلاصةُ: أنَّ معنى الاستفهامِ أصَالةً في الآية الكريمة الإنكارُ، ويتولَّدُ عنه ما يُناسبُه من معانٍ ثانيةٍ مثلِ: التَّعجيبِ، والتَّفْريعِ، والتَّجْهيلِ، فكان الاستئنافُ بالقول تفخيمًا لشأن الإنكارِ فيها، وهو استقباحُ اتِّخاذ غيرِ اللّهِ معبودًا مع اللّهِ، أو مخصوصًا بالعِبَادَة[3]، مُشْرَبًا بالمعاني الأُخَرِ تعجُّبًا من ابتغائهم معبودًا سوى اللّهِ - تعالى - الذي غمرَهم بنِعَمِهِ، وأحاطَهم بألوانِ إحسانه[4].

بَلاغةُ تقديمِ المفعولِ، وإنكارِهِ بالهمْزةِ:

تقديمُ ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ على ﴿أَبْغِيكُمْ﴾؛ لكونه جوابًا عن ندائهم لموسى عليه السلام إلى عبادة آلهتهم[5]، مِنَ الاختصاصِ بالنِّعْمَةِ الَّتي لم يُعْطِها أحدًا غيرَكم، لتختصُّوه بالعِبَادَة، ولا تشركوا به غيرَهُ[6]. وفيه نوعانِ مِنَ الاختصاص: أحدُهما: بأنَّه هو مَنْ فَعَلَ بكم ما فَعَلَ دونَ غيرِه، وهو مستفادٌ مِن تقديمِ الفاعلِ المعنوي ﴿وَهُوَ﴾ على الفعل في قَوْله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾، والآخرُ: بتقديم المفعولِ الثَّاني وإنكارِه بالهمزةِ؛ لاختصاصِه بالعِبَادَة[7].

سَبَبُ الاخْتِصاصِ بالنِّعْمَةِ، تَخْصيصُه بالعِبَادَةِ، دونَ شِرْكٍ

وفي ذلك مبالغةٌ في الإنكارِ، أي: اختصاصُ الإنكارِ بابتغاءِ غَيْرِ اللّهِ إلهًا[8]. ومأخَذُ الاختصاصِ في الحالتين من قَصْرِ الصِّفَةِ على الموصوف بتقديمِ ما حقُّه التَّأخيرُ، من فاعل معنويٍّ، أو مفعولٍ.

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/150.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 3/105.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/83، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/404.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/367.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/157.
(6) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/150.
(7) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/545.
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/83.

سِرُّ تأْخِيرِ لفْظِ ﴿أَبْغِيكُمْ﴾، في السِياقِ:

إعـــلامُ بـنِـي إسـرائـيـلَ، أنَّ طلبَ هذا الأمْرِ، هو الإمْرُ

بعد أن قدَّم المقصودَ بالذَّاتِ منَ الإنكار، وهو جعلُ غيرِ اللّه إلهًا، ذكرَ من أرادوا أن يكونَ الواسطةَ في هذا الجَعْل الذي دعا إليه ذلك الجَهْلُ، وهو نفسُه ﷺ بقوْله: ﴿أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾؛ ليُعْلِمَهُم أنَّ طلبَ هذا الأمْرِ: الإمْرُ[1].

سِرُّ التّدرّجِ في مراحلِ الجوابِ، عن قَوْلهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾:

من وصَفَ وأنْكرَ وذَكّرَ، فقد أفادَ وأخبرَ، ثمّ أعْذرَ وأنْذرَ

ما أحسنَ ما خاطبَهم موسى ﷺ وأجابهم! إذ بدأ: بالحُكم عليهم بالجَهْل، ثمَّ بالخُسْرانِ والهلاك، ثم بِبُطلان عملِهم، ثم بالاستفهامِ الدَّالِّ على الإنكارِ والتَّوبيخِ، والقَصْدُ: أنَّ الإلهَ ليس شيئًا يُطلب، ويُتَّخذ، ويُلتَمسُ، بل الإلهُ هو اللّهُ الَّذي يكون قادرًا على الإنعام بالإيجادِ وإعطاء الحياة، وجميع النِّعَم، فهذا هو الذي يجبُ على الخلقِ عبادتُه، فكيفَ يجوزُ العُدُولُ عن عبادتِهِ إلى عبادَةِ غيرِه[2]؟ وختَمَها بالتَّذكيرِ بإنقاذِهم مِن بلاءِ استعباد فرعونَ وآلِهِ في الآيةِ الآتيةِ.

معنَى اخْتِصاصِهم المعنويِّ بالتّفضيلِ في: ﴿فَضَّلَكُمْ﴾:

التَّنْبيهُ على سُوءِ مُعاملَتِهم؛ في مُقابلةِ تفضُّلِ اللهِ عليهم، بعِبادتِهم سِواه

وفي اختصاصِ اللّهِ لبني إسرائيلَ بنِعَمٍ لم يُعْطِهَا غَيْرَهُم في قَوْلِ موسى لهم: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾ تنبيهٌ على سوء معاملتِهم؛ إذ قابلُوا تخْصيصَ اللّهِ إيَّاهم عن أمثالِهم بما لم يستحِقُّوهُ تفضُّلًا بأنْ قصدُوا أنْ يُشْركوا بهِ أخسَّ شيءٍ من مخلوقاتِه[3]، وهو الجَمادُ الَّذي لا حياةَ له، ولا عَقْلَ، ولا فؤادَ[4].

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/100.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/183، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/378، وابن عادل، اللّباب: 9/296.

(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/32.

(4) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/491.

دَلالةُ التَّعْبيرِ بالجُمْلَةِ الحاليَّةِ:

جملةُ: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في موضعِ الحال، وهي مقرِّرةٌ لوجهِ الإنكارِ، أي: والحالُ أنَّه تعالى خَصَّكم بِنِعَمٍ لم يُعطِها غيرَكم، وحين كان عاملُها محلَّ إنكارٍ باعتبارِ معمولِه، كانتِ الحالُ أيضًا داخلةً في حيِّزِ الإنكارِ، ومقرِّرةً لجهتِه، وظاهرُ صَوْغِ الكلامِ على هذا الأسلوبِ أنَّ تفضيلَهم على العالمين كان معلومًا عندهم؛ لأنَّ ذلك هو المناسبُ للإنكارِ، ويحتملُ أنَّه أراد إعلامهم بذلك، وأنَّه أمرٌ محقَّقٌ[1].

إنَّ تَفضِيلَهم كان معلومًا عندَهم، وهو المناسِبُ للإنكارِ

بَلاغةُ تقديمِ الضَّميرِ(هو)، والتَّخصيصُ بالفعْلِ المَاضِي:

وحصرَ الأمرَ فيه، ثمَّ بيَّنَهُ بقَوْلِه: ﴿وَهُوَ﴾، أي: والحالُ أنَّه: هو وحدَهُ فضَّلَكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دونَ غيرِكم ممَّن هو في زمانِكم أو قبلَه، أي: لو لم يكن لوجوبِ اختصاصِهم له بالعِبَادَة سَبَبٌ سوى اختصاصِه لهم بالتَّفضيلِ على سائرِ عبادِهِ الّذين بلَغَهُم عِلْمُهم، ممَّن هو أقوى منهم حالًا وأكثرُ عددًا وأمولًا؛ لكان كافيًا[2].

التَّفضيلُ منَ اللهِ، عَطاءٌ لا حدَّ لِمُنتهاه

ومجيءُ المسندِ فعليًّا؛ ليفيدَ تقديمُ المسندِ إليه ﴿وَهُوَ﴾، عليه تخصيصَه بذلك الخبرِ الفعليِّ، أي: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾، ولم تفضِّلْكُمُ الأصْنَامُ، فكان الإنكارُ عليهم تَحْميقًا لهم في أنَّهم مغمورون في نعمةِ اللهِ، ويطلبونَ عبادةَ ما لا يُنعِم[3].

ودلَّ التَّعبيرُ بالفعل الماضي ﴿فَضَّلَكُمْ﴾ على تأكيدِ أنَّ اللهَ – تعالى، – قد أنعمَ على بني إسرائيلَ بفضلٍ عظيمٍ، وأنَّ هذا الفضلَ قد حصلَ لهم بالفعل، وليس مجرَّدَ وعدٍ أو توقُّعٍ، والغرضُ من هذا التَّعبيرِ إثارةُ حسِّ الشُّكر والامتنان في قلوبِهم، ولتذكيرِهم بنعَمِهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/84.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 3/105.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/84.

عليهم، ولحثِّهم على الطَّاعة والإيمانِ.ومناطُ التَّنبيهِ على سوءِ ما صنعوا؛ إذ قابلوا تخصيصَ اللهِ تعالى إيَّاهم من بين أمثالِهم بما لم يستحقُّوه تفضُّلًا بالتَّفضيل؛ بأنْ قَصَدُوا أن يُشْرِكوا بهِ أحطَّ شَيءٍ من مخلوقاتِه، وأخسَّه؛ فجعلوهُ شريكًا لهُ تعالى[1]. وليسَ هذا فحسبُ، بل لأنَّ العِبَادَة لا يصحُّ أن تكونَ لغيرِ اللهِ تعالى البتَّة، مهما يكنْ غيرُهُ مكرَّمًا عنده، ومفضَّلًا على كثيرٍ من خَلْقِه، على أنَّ طَلَبَ عبادةِ الأخسِّ دليلٌ على منتهى الخِسَّةِ والجَهْل؛ إذ لا شبهةَ تُوهِمُ قدرَتَه على الإثابةِ، أو التَّقريبِ مِنَ اللهِ[2] ﷻ.

نُكْتَةُ اخْتِيارِ لفْظِ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، في السّياقِ:

لفظُ العالَمِ يُرادُ بـه تـخـصـيـصُ زمـانِـهـم، وتفضيلُهم على أُممِ عَصْرِهم

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لفظٌ عامٌّ يُرادُ به تخصيصُ عالَمِ زمانِهم؛ لأنَّ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ أفضلُ منهم بإجماعٍ، ولقَوْلِهِ تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]. اللّهمَّ إلا أنْ يُرادَ بالفضل كثرةُ الأنبياءِ منهم؛ فإنَّهم فُضِّلوا في ذلك على العالمينَ بالإطلاقِ[3].

وتفضيلُهم على أممِ عصرِهم؛ بأنَّهم ذُرِّيَّة رسولٍ، وأنبياء، وبأنَّ منهم رُسُلًا وأنبياءَ، وبأنَّ اللهَ هداهُم إلى التَّوحيد، والخلاصُ من دينِ فرعونَ بعد أن تخبَّطوا فيه، وبأنَّه جعلَهم أحرارًا بعدَ أن كانوا عبيدًا، وساقَهم إلى امتلاكِ أرضٍ مباركةٍ، وأيَّدَهم بنصرِهِ وآياتِه، وبعثَ فيهم رسولًا؛ ليُقيمَ لهم الشَّريعةَ، وهذه الفضائلُ لم تَجْتَمِعْ لأمَّةٍ غيرِهم يومئذٍ، وإن كان غيرُهم فضَلَهم بسائرِ الخِصَال[4].

ويَحْتَمِلُ إرادةُ تفضيلِهم على العالمين مطلقًا، بكثرةِ الأنبياء والمرسلين منهم، والأوَّلُ أظْهرُ؛ لأنَّه ﷺ احتجَّ عليهم بما عرفوا، فيَبْعُدُ أن يُرادَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/268، وابن عجيبة، البحر المديد: 2/254، والآلوسي، روح المعاني: 9/42.

(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/100.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/448.

(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/183، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/84.

به تفضيلُهم على القرونِ الأولى، وأقوامِ رسُلِهم وعلى مَن سيأتي بعدَهم، وحالُ كلٍّ منهما مجهولٌ عنده وعندَهم، فقد سَألَ فرعونُ موسى عن القرونِ الأولى، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [طه: 52]، والقرونُ الآخرةُ أولى بذلك، والدَّليلُ على أنَّ المرادَ بتفضيلِهم على العالمين ما ذكرنا أنَّه عَطَفَ عليه أعظمَ مظاهِرِه الحديثةِ العَهْد، بقَوْله: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ عَنِ العالَمِينَ بالكِنايةِ:

شأنُ الفاضِلِ ألَّا يُقلِّدَ المفضولَ، إذْ لا يَستويانِ مثلًا

ومِن جملةِ العالمين: هؤلاءِ القومُ الذين أتَوْا عليهم، وذلك كنايةٌ عن إنكارِ طَلَبِهم اتِّخاذَ أصنامٍ مثلِهم؛ لأنَّ شأنَ الفاضلِ ألَّا يُقلِّد المفضولَ؛ ولأنَّ اقتباسَ أحوالِ غيرِه يتضمَّنُ اعترافًا منهُ بأنَّ غيرَه أرجحُ رأيًا، وأحسنُ حالًا في تلك النَّاحية[2].

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/101.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/84.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»